التبشير الأمريكى يضغط على أندونيسيا

كان تصورى لمستقبل العلاقة بين الاسلام والمسيحية واضحا، قريبا، ميسور القبول والتنفيذ، يخضع لقاعدة عادلة محترمة: أن نتعاون على ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

ولم أتصيد هذه القاعدة من أفق بعيد.

فإن الاسلام الذى آثرته وأحببته، يقبل قيام الزوجية بين رجل مسلم وامرأة من أهل الكتاب، يرعاها، ويحنو عليها، وتنشأ بينهما عواطف الود والرحمة، مع بقاء كل منهما على دينه!

فكيف بعد ذلك تضيق أرض الله الواسعة بتجاور دينين، وائتلاف فريقين؟

لكن هذه المشاعر التى نبعت من سماحة الاسلام لم تلق التجاوب المرتقب!

فان الطرف الآخر - خصوصا الأوروبيين والأمريكيين - كان سوداوى المزاج، جياش الأحقاد، لا يكن للاسلام وأتباعه قبولا ولا سلاما..!

وعندما واتته القوة ليغزو أراضى المستضعفين وضع السيف موضع الندى، ولم تواته فرصة للاجهاز على الأمة الجريح إلا اهتبلها.!

وتاريخ الاستعمار الغربى يقطر بالدم الحرام، ويؤلف صفحات متخمة بالفساد والفوضى.

وقد أحس كثير من العقلاء أن هذا الاستعمار استغل المسيحية أسوأ استغلال، وأنه فى سبيل نزواته الجائرة لم يتق الله، ولم يرع حتى بقايا الوحى التى ينتمى إليها..

وقد ظهر ذلك فى العلاقات الداخلية بين المسيحيين الغربيين أنفسهم، فإن الكاثوليك افترسوا البروتستانت حيثما كانوا، وسجلت الحروب الدينية مآسى تقشعر منها الجلود.

كما بدا أن التفرقة العنصرية تفرض نفسها باسم الدين، وتقسم أبناء آدم قسمة فاجرة تجعل الضعة قرين أحدهما أبدا، وأن تساوى مع أخيه فى الوطن والدين!

فإذا كان ذلك مسلك القوم بازاء بعض منهم فماذا يتوقع من مسلكهم بإزائنا؟

هل نتوقع إلا العداوة الضارية والخصومة القاسية؟

أقول ذلك ما انتهيت من مطالعة نداء حزين وجهه مسلمو اندونيسيا الى إخوانهم فى أرجاء العالم كله.

إنهم يشكون من تحالف تم بين الكنائس الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية يستهدف تنصير المسلمين بالدس والرشوة والختل.

وهذا التحالف يعتمد على سيل لا ينفد من المال الأمريكى، والدعاية الخادعة.

وقد مهد لهذا الهجوم الصليبى الجديد أن اندونيسيا ظلت أكثر من ثلاثة قرون ترزح تحت وطأة الاستعمارالهولندى المتعصب الجائح.

وهو استعمار استنزف مواردها، وعرق عظمها، وبث المسبغة فى شرقها وغربها فإذا جاء الأمريكيون فى أعقاب هذا الليل ففتحوا الملاجئ للأطفال، والمستشفيات للمرضى، والمدارس لطلاب العلم، واستعانوا بهذه الوسائل على زلزلة الاسلام ومحو عقائده فقد يصلون الى شئ من النجاح.

بل لقد أعلنوا أنهم أفلحوا فى تنصير الألوف من أبناء المسلمين(١)!

وكان الاسلام – فى استفاقته من الاستعمار الهولندى – قد بلى بزحف آخر نكأ جراحه، وزاد ضراءه، وهو الزحف الماركسى الذى يستأصل الإيمان كله.

وقاوم المسلمون المتعبون الضربات التى تنهال عليهم من هنا ومن هناك، ولا يزالون يدافعون عن دينهم وكيانهم ويومهم وغدهم.

ولكن التبشير الأمريكى الغادر ماض فى طريق الهجوم وكأنما ظن أن الأمور قد تمهدت له، وأنه واصل حتما إلى القضاء على الإسلام والمسلمين.

وهذه الرغبة المجنونة فى الإتيان على دين ضخم، له أتباع يفتدونه بالنفس والمال جعلت مسلمى أندونيسيا يتنادون لوقف الخطر الداهم، وتنبيه المسلمين فى كل مكان إلى مصدره الآثم.

---

(١) يظهر أن الذين اعتنقوا النصرانية بهذه الوسائل بلغ عدة ملايين، وان المحنة التى وقع فيها الأندونوسيون أشد مما يوصف!!

وعندما درسنا الأحوال فى أندونيسيا، وتتبعنا مراحل هذا العراك الناشب وجدنا أن الجنرال « سوهارتو » رئيس الدولة قد تدخل فى الموضوع ليقى البلاد شره.

و« سوهارتو » رجل مسلم، يرأس دولة تعداد المسلمين فيها قريب من مائة مليون.

ولكنه لم يتدخل فى القضية بهذه الصفة!!

لقد تدخل مقترحا عقد مؤتمر للأديان يحول دون وقوع نكبة قومية عامة!

وأهاب بالجبهات المشتبكة فى الخلاف أن تنهى التوتر بإصدار بيان أو ميثاق يرتضيه زعماء الأطراف!

وقال: إن الحكومة مهتمة بخطورة الموقف الناشئ عن رغبة الكاثوليك والبروتستانت فى التوسع على حساب غيرهم، وأنه يجب على كل فريق أن يتسامح مع الآخر، وألا يستهدف المعتنقون لدين ما، تحويل أتباع دين آخر إليهم.

وقد رفض زعماء النصارى بعد انعقاد المؤتمر أن يقبلوا التفاهم مع المسلمين، وأعلنوا أنهم لن يكفوا عن التبشير.

والواقع أن روح التحدى والاستهانة كانت مسيطرة عليهم، بل إن الوئام الذى نشر ظلاله بين المسلمين والمسيحيين فى بعض أقطار أندونيسيا كان يغيظ قادة الهجوم الصليبى الجديد، وذاك ما يستشفه القارئ من كتبهم الذائعة.

ففى كتاب « تبشيرنا فى أندونيسيا اليوم » تأليف الدكتور « و.ب سيجابات » تقرأ فى صفحة ٨٥ هذه العبارة « طالما تنعمت كنائس جزائر الملوك ونصاراها بروح من الألفة والأخوة تربط بينهم وبين المسلمين! لكنهم بالرغم من ذلك يعيشون معيشة محزنة لأن هذا الوئام يشل قواهم، ويخدع أنظارهم، فلا يؤدون واجبهم التبشيرى تجاه إخوانهم المسلمين! فنأمل أن تتمكن البروتستانت فى جزائر الملوك من التغلب على جميع المصاعب المرة التى لابد أن يلاقوها فى ميدان التبشير »!

والعبارة ناضحة بنبذ صداقة المسلمين، ومحاولة فتنتهم عن دينهم، والتحريض على تحمل كل ما ينشأ عن محاولة التبشير من صعاب ومرارة!!

فكيف ينجح مؤتمر يدخله رجال الكنائس بهذه الروح الشريرة؟

وقد حاول السيد محمد ناصر وغيره من زعماء المسلمين أن يكفكفوا من هذه النزعة المعتدية، وأن يلتقوا مع رجال الكنائس على طريق الاعتدال والانصاف.

وأندونيسيا تعانى مشكلات جمة، فان الحاكم السابق «سوكارنو» فتح أبوابها لجميع التيارات التى تزلزل الاسلام وتفتن أتباعه.

ومكن للشرق والغرب على سواء من ترويج المبادئ التى تصرف الأجيال الناشئة عن دينها، وتغريها بالفرار منه!.

فإذا وجد صلابة من بعض الفئات تولى السيف العلاج، وامتلأت المنافى بالمجاهدين، والقبور بالشهداء!.

وقام سباق هائل بين الشيوعية والصليبية، أيتهما ترث البلد المنكوب وتستولى على حاضره ومستقبله؟

والمسلمون حيارى بعد ما نجوا من الاستعمار الهولندى ليقعوا فى استعمار داخلى شر منه وأنكى.

وشاء الله الكبير أن تفشل الشيوعية فى الاستيلاء على مقاليد أندونيسيا وان يستنقذ المسلمون أنفسهم منها بعد مذابح ذهب فيها مئات الألوف.

وبقيت المسيحية فى ساحة تناثرت فيها الأشلاء، وتشابكت فيها برك الدماء.

بقيت لتصاول الاسلام، وتحاول النيل منه مستعينة بالجاه الأمريكى والعون الأجنبى.

ونحن لا نبتئس بهذا الموقف، فليس جديدا!

ولا نقلق من نتائجه فقد جرب القوم هذا السلاح معنا فانقلب مفلولا.

وقد كنا نريد أن تسير العلاقة بين الدينين فى نهج أصفى وأرضي، ولكن غيرنا يصر ويأبى، فماذا نصنع؟

ما بد من الصمود لهذا الهجوم وقبول مرارة الوضع الحاضر، ذلك الوضع الذى يغرى خصومنا بالضرب وهم آمنون من الثأر.

ولعل الغد القريب أو البعيد يأتى بالفرج المرقوب!

ونتساءل: ماذا كان مصير مؤتمر الأديان الذى اقترح الجنرال سوهارتو عقده، وانتظر من ورائه سلاما بين المسيحية والاسلام فى أندونيسيا؟

لقد كتب الحاج «مصفى بشير» رئيس تحرير مجلة القبلة رسالة الى الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر ينبئه فيها بمصير ذلكم المؤتمر، ويصف بعض ما لاقى المسلمون فيه من تجهم وحيف فيقول:

لقد أحبط النصارى من الكاثوليك والبروتستانت مؤتمر الأديان المنعقد فى ٣٠/١١/١٩٦٧ بجاكرتا لأنهم لم يقبلوا مشروع الميثاق الذى عرضته الحكومة ولم يريدوا التنازل عن موقفهم المسئ، وبدا أنهم لا يشعرون إلا بحقوقهم الخاصة، ويرفضون الاعتراف بحقوق غيرهم.

والغير هنا هم جمهرة السكان فى أندونيسيا المسلمة!!

ويقول رئيس تحرير مجلة القبلة فى معرض الشكوى من مطالب تلك القلة المتحدية كلاما طويلا نجمله فى الحقائق الآتية:

(أ) يرفض الكاثوليك والبروتستانت أن تكون القوانين السائدة مستمدة من الشريعة الاسلامية ولو كان تطبيقها بعيدا عنهم! وقد اعترضوا على الدكتور محمد ناصر وهو يقرر ضرورة تنفيذ الشريعة الاسلامية بالنسبة الى المسلمين الى جانب الاعتقاد فى إله واحد.

(ب) يحاول هؤلاء بناء كنائس فى المناطق الاسلامية الخالصة على أساس أن وضع الطابع المسيحى على الأرض تمهيد لتنصير أهلها مستقبلا .. وهذا التصرف واضح الاستثارة لمشاعر المسلمين، وقد اعترضه إخواننا بشدة.

(جـ) يشن التبشير الأمريكى حملات سفيهة على صاحب الرسالة الاسلامية ولا يفتأ يتناول شخصه الكريم بالإهانة والافتراء والتجريح.

والغريب أن المسيحيين لجأوا الى إحباط المؤتمر بتقديم طلب غريب، فقد اقترحوا حضور ممثلين للأحزاب والمنظمات الغير الدينية لتشارك فى بحوثه ومقرراته.

ولا ندرى كيف يشارك البوذيون والشيوعيون ومن على شاكلتهم من الوثنيين والملاحدة فى مؤتمر لتصفية الخلافات بين المسلمين والنصارى!

وقد أبت الحكومة الأندونيسية الإصغاء الى هذا المقترح لأنه يزيد المسائل تعقدا، ويضعف الآمال فى الوصول الى حل يقر الأمن فى البلاد.

وأخيرا قال الجنرال « سيماتوبانج » – وهو أمريكى النزعة والوجهة – مهما اتفق عليه ممثلو الأطراف فى هذا المؤتمر فلن يكون اتفاقهم مقيدا لمجلس الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية، ولن يلزمها العمل بمقتضاه لأن كلا منهما له استقلال تام وحرية كاملة.

وبهذا التهديد أصبح نقاش المؤتمر لغوا، وجهده باطلا .!

وكانت الحجة البارزة لقادة التبشير الأمريكى أنهم ينفذون أوامر الله وأن التبشير جزء من حرية التدين..

ونحن نقف هنا لنحسم هذه المخادعة الصغيرة..

إننا نحن المسلمين أول من يقر حرية التدين على ظهر هذه الأرض !

وأول من يرحب بالجدل المفتوح، والحوار المطلق فى قضايا الدين كلها، أصولا وفروعا.

وأول من يكسر القيود، ويزيح العوائق التى قد يضعها البعض على حرية العقل والضمير..

بل نحن المسلمين نعد جو الحرية الطلق هو أنسب الأجواء لنماء معتقداتنا، ودخول الناس أفواجا فى ديننا.

إن الاستبداد الفكرى هو العدو الأول لنا..

والبيئات التى تحرس الخطأ وراء أسوار من التقاليد والكهانة هى التى تستعصى علينا..

ومن الضحك أن يقول رجال التبشير الغربى أنهم طلاب حرية دينية، وأن يتهموا مسلمى أندونيسيا بالتنكر لهذه الحرية أو الضغط عليها..

إن وظيفة المبشرين معروفة، لمسناها فى بلادنا، وسمعنا أبناءها فى كل بلد نزلوه..

ولو وصفناها بأنها سرقة العقائد ما عدونا الحقيقة.

لقد جاءت مبشرة أمريكية إلى أسيوط، واستطاعت أن تربى فى

ملجئها مئات اللقطاء من أولاد المصريين، ليشبوا على النصرانية، فهل هذه هى الحرية المطلوبة؟

وقامت المدارس الأجنبية بتعليم أبناء الزنوج فى أفريقيا حتى نالوا أعلى الشهادات من جامعات الغرب، ثم عادوا ليحكوا البلاد لحساب الاستعمار.

وفى ظل هذا الحكم، وقبله، وضعت عوائق هائلة حتى لا ينتشر التعليم بين المسلمين، وحتى لا يرتفع مستواهم الثقافى فينصفوا أنفسهم وبلادهم.. فهل هذه هى الحرية المطلوبة؟

وفى البلاد التي يرتفع فيها المستوى الأدبى للمغلوب، على الغالب! وللمقهور، على القاهر ! كأرتيريا بالنسبة إلى الحبشة، ماذا صنع التبشير ؟

إنه يعتمد على السيف فى إخراس الألسنة، وتمهيد الأرض بالسلاح لاستقبال دين جديد، وترك ما تقدس وتعشق من دين، فهل هذه هى الحرية المطلوبة ..؟

إن الحرية التى يتحدث عنها أولئك المبشرون هى خلو المكان من الشرطة حتى يستطيع المعتدون إتمام جرائمهم فى اطمئنان .

فلا غرو إذا تنادى مسلمو أندونيسيا بالجهاد المقدس لوقف هذا الاعتداء المبيت على دينهم وبلادهم.

أو كما يقول الحاج مصفى بشير فى عبارات حماسية مشكورة « أنه بدافع العزم والحزم لنيل النصر أو الشهادة، نلبى دعوة الله، ونتحرك أفواجا أفواجا بلا انقطاع لإقامة الدين على أساس متين، مستمسكين بالعروة الوثقى فى اليسر والعسر، باذلين الأنفس والأموال فى سبيل الله، صامدين فى ميادين الكفاح إلى آخر رمق حتى يحق الحق ويبطل الباطل ».

ومرة أخرى أسال نفسى وغيرى: ألا يمكن وضع حد لهذه الخصومات المتفجرة بين الإسلام والنصرانية؟

لقد أعلنت مرارا عن رغبتنا نحن المسلمين فى إرساء العلاقات بين

الدينين على قواعد معقولة. تحقن الدماء وتفتح صفحة جديدة فى تاريخ العالم..!!

* * *

من خمس عشرة سنة تفضل السيد وزير الأوقاف الشيخ أحمد حسن الباقورى فأنابنى عنه لحضور المؤتمر المسيحى[1] الإسلامى المنعقد فى الاسكندرية.

وكانت الفكرة التى تدارسناها وغلبت على نفوسنا أن هذا التلاقى خير للعالم أجمع إذا ساده الإخلاص وصلحت فيه النيات..

وأنه لكسب جميل كريم أن نحط عن كواهل الناس أحقادا ظلت أعصارا. وأن تضع الحروب الدينية أوزارها، ويتعاون المتدينون على إنشاء عالم أدنى إلى السلام وأبعد عن الشحناء..

إننا معشر المسلمين نؤمن بالوحدانية المطلقة، وإذا كان المسيحيون يجنحون إلى التثليث فهم ينتمون به إلى التوحيد - كما يقولون - .

أى ينتهون إلى أن للعالم ربا لا شك فى حياته ومجده.

وأن الناس صائرون إليه بعد الموت ومحاسبون أمامه.

وأن العباد فى هذه الدنيا يجب أن يتعاملوا على أسس من الفضائل المرعية والحقوق المكفولة.

وأن الظلم مرتعه وخيم، وأن مسالك الرذيلة لا تليق بعباد الله الصالحين، وأن.. وأن.. إلخ.

أننا مدفوعون ولا أقول مخيرون إلى أن نلقى الخير بخير أشمل، وأن نرد التحية بأحسن منها.

والتعاون المقترح بين المسيحيين والمسلمين فى نطاق الإنسانية الرحبة لن يمنع أحد الفريقين من القيام بواجباته الدينية الخاصة..

بهذه العواطف النقية ذهبت وتحدثت..

وقد استمعت إلى الجانب الآخر فوجدت كلاما لا بأس به.

---

(١) فى كتابنا « كفاح دين » نبأ هذا المؤتمر، وشىء من التفاصيل المهمة.

ولكن الصخرة التى اصطدم بها هذا المؤتمر وتحطم عليها، والتى سوف تصطدم بها جميع المؤتمرات المتشابهة وتتفانى عندها هى السياسة الصليبية التى تهيمن على أفئدة الغربيين وعقولهم.

فهم يريدون سلاما يخزينا، ويزرى بديننا، ويحط من قدرنا..!

أنهم بطريقة مستهجنة سمجة يريدون تهويد فلسطين، وتشريد أهلها، ولا يشعرون بحياء من المصارحة بهذه الجريمة القذرة..

ثم هم فى أفريقيا - حيث يسود الإسلام - يقيمون حكومات ليست صورة حقيقية ولا مقاربة للشعوب المحكومة، بل حكومات مطلوب منها أن تمحو الإسلام وأن تتجاهل الكثرة التى تعتنقه، وأن تحارب لغته وتقاليده وجامعته !!

فإذا اطمأنت إلى هذا الشكل من الحكومات، منحته الاستقلال، وأعلنت الجلاء، بعد ما ضمنت ذيلا لها فى المنظمات العالمية الكبرى..!

وهذه السياسة لا تلتقى مع الآخرين على مثل رفيعة تستمد وجاهتها من طبيعتها النيرة كلا. أنها تعتمد على القوة، وما تغرى به القوة من كبرياء وطغيان وما تخلفه من ضغائن ومظالم.

ولذلك نرى جماهير الافريقيين فى جنوب القارة ووسطها يفتك بهم المستوطنون البيض، والضمير الغربى صامت..

ومعنى هذا أننا نحن المسلمين لا نتعامل مع مسيحيين يحسنون التدين والتقوى حتى وفق معتقداتهم نفسها، بل نتعامل مع ناس قرروا أن يدوسوا مبادئهم ثم جاءوا تحت لواء المسيحية يريدون أن تنخلع على ديننا، ونقبل الدنية فى شئوننا كلها..!!

فهل يقبل عاقل الاستسلام لهؤلاء. ؟

إننا مضطرون لمقاتلتهم بكل سلاح ورد طغواهم بكل وسيلة.

وبقاء الضغائن القديمة يعود وزرها عليهم لا علينا..

ولألفت النظر هنا إلى أمور ذات بال فى الأحداث الأخيرة.

إن المذاهب المادية تطوى الطريق إلى غايتها البعيدة بسرعة مذهلة، وإذا كانت العقائد لم تزل بعد، فإن ما ترتبط بها من عبادات وتقاليد يتهاوى شيئا فشيئا.

ودور العقائد نفسها سيجيء فى نهاية المطاف.

والغريب أن الدول المسيحية تؤثر أن ينفسح الطريق أمام الشيوعية ولا تسمح للإسلام بحياة !!

و حتى يكون كلامى مقترنا بأدلته أذكر هذه الحقائق:

عندما كافح العرب الاستعمار البريطانى جنوبى اليمن، وفرضت الظروف على الانجليز أن يرحلوا، آثر المستعمرون الراحلون أن يسلموا البلاد إلى الجبهة القومية، وهم يعلمون ميولها اليسارية المفرقة، وأبوا أن يسلموها لجبهة التحرير الموالية لمصر.

وعشية الرحيل المرسوم شن القوميون الحمر غارة على رجال الجبهة وأهليهم وبيوتهم بلغ ضحاياها مئات القتلى فى عدن من الأطفال والنساء والرجال.

حتى تعب الناس من تشييع الجنائز واستخراج الجثث الهالكة تحت الأنقاض.

هكذا خرج الانجليز بعدما جعلوا الشيوعية ترثهم لا الإسلام!!

وفى الهند، عندما استعمرها الانجليز، نظر الغزاة فوجدوا تحت وطأتهم مسلمين وهنادك، فقرروا دون تردد أن يرجحوا كفة الوثنية على الإسلام.

يقول السيد «سجار حيدر» سفير باكستان فى القاهرة: «إن أضابير التاريخ تشهد بأعمال الوحشية والقسوة التى تعرض لها المسلمون على أيدى البريطانيين إذ كانوا يشنقون الناس بعد محاكمات سريعة، ويطلقون عليهم النار لأسباب تافهة، ويسلطون عليهم ضغوطا سياسية واقتصادية مرهقة.

وقد استهدفت السياسة البريطانية أن تجعل المسلمين تحت تصرفها المطلق، فلم يمض وقت طويل حتى ألفى المسلمون أنفسهم مجردين لا من السلطة والقوة وحسب، بل مجردين من ثرواتهم وما ملكت أيديهم..!!

ولم تعد اللغة الفارسية لغة رسمية للبلاد، بل أهمل شأنها – لأنها تمثل وعاء الثقافة الإسلامية هنالك – وأميت العمل بالقانون الجنائى الإسلامى، وحرفت الشريعة الإسلامية، وأنكر على أى مسلم أن يشارك فى حكم الهند..!!».

ووصف الشاعر محمد إقبال هذه الحال فقال: «لقد اعتبر البريطانيون المسلم متسولا»..

ومضى الانجليز في هذه الخطة قرنا بعد قرن، حتى وقر في نفوس المسلمين الهنود أن الاستعمار البريطاني يترصد للإسلام وأمته في كل مكان، ويحاول الإيقاع بهم حيثما وجدوا.

وقد لخص كاتبان هما «ادوارد طومسون». و«ج. ت. حارات» الوضع كما يأتي:

لقد أضافت السياسة الانجليزية خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى الكثير إلى تبرم المسلمين، فقد التهمت الدول الأوروبية، الدول المحمدية، واحدة تلو أخرى.

وكان البريطانيون إما مشاركين مشاركة مباشرة كما حدث في مراكش وفارس، وإما موافقين نفسيا كما حدث في طرابلس..

وقد عدت حروب البلقان التي نشبت ١٩١٢ - ١٩١٣ جزءا من هجوم عام شنه الاوروبيون على الإسلام.. إلخ».

وظاهر من تاريخ الانجليز في الهند أنهم خذلوا الإسلام وناصروا الوثنية.

اما في فلسطين حيث نشب النزاع بين الإسلام واليهودية فإن دور انجلترا قد تحدد من غير موازنة، فقد انحازت بكل ما تملك من دهاء وسلاح إلى اليهودية ضد الإسلام والعرب.

وانجلترا مثل صادق لسائر دول الغرب الصليبي، فإن هذه الدول على استعداد مطلق لمحاربة الإسلام ومساندة أي خصم له..

والعجيب أن المسلمين إذا تفطنوا لهذه الحقيقة وأخذوا لها حذرهم، قيل عنهم بوقاحة: أنهم متعصبون.

ولا يحسبن القارىء أن هذا اللدد في الخصام استجد في العصور المتأخرة لظروف طارئة، أن العصور الوسيطة امتلأت بآثار هذا التعصب العنيف.

ومن المؤرخين من يرجع هجوم التتار على العالم الإسلامي إلى تحريض

الصليبيين لأولئك الهمج ومعاونتهم لهم في تدمير الإسلام حكومات وشعوبا.. [1].

وعلى أية حال فإن ما نزل بالمسلمين من كروب وأهوال على أيدى أولئك المغيرين يعد من الأحداث الفريدة في الدهر، لكن الذى يثير الدهشة حقا شعور الشماتة والتشفى الذى أظهره النصارى المقيمون بين العرب وهم يرون إخوانهم الموحدين يهانون ويبادون..!!

يقول ابن كثير في الجزء الثالث عشر من كتابه «البداية والنهاية»: أرسل هولاكو - وهو نازل على حلب - جيشا مع أمير من كبار رجال دولته يسمى «كتبغا نوين» يريد دمشق، فبلغها الجيش الزاحف سنة ٦٥٨ هـ آخر صفر، وكان هولاكو قد كتب أمانا لأهل البلد، قرىء بالميدان الأخضر، وشاع بين الناس خبره.

إلا أن الناس كانوا على وجل من أن يغدر بهم، فكم من أمان بذله التتار ثم خاسوا فيه!

ووقع المحذور، فما هى إلا ليالى حتى استحر القتل في وجوه البلد، وأخذ الخراب يسرى في أرجائها، ولم يدع التتار مئذنة إلا هدموها، ولا برجا إلا خربوه..

ثم ولى الفاتحون أحد قوادهم حاكما على دمشق بعد أن دهاها ما دهاها، وكان اسم الحاكم التتار «ابل سيان» يقول ابن كثير: وكان لعنه الله معظما لدين النصارى، فاجتمع عليه أساقفتهم وقساوسهم فعظمهم جدا، وزار كنائسهم، وصارت لهم به دولة وصولة..

بل أن طائفة من النصارى ذهبوا إلى هولاكو حاملين معهم الهدايا والتحف، وقدموا من عنده ومعهم أمان لطائفتهم..!

ودخل الوفد العائد من باب «توما» وهم ينادون بشعارهم..

ومعهم أوان فيها خمر، وقماقم ملآنة خمرا يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم! ويأمرون كل من يجتازونه في الأزقة والأسواق أن يقوم لصلبانهم!

---

(١) أثبت المؤرخ الإسلامي الكبير الأستاذ محمد على الغتيت هذه القضية بوثائق حاسمة في مؤلفه «من الحروب الصليبية إلى حرب السويس».

ودخلوا من درب الحجر، فوقفوا عند رباط الشيخ أبى البيان ورشوا عنده خمراً وكذلك على باب مسجد درب الحجر الصغير والكبير!!

واجتازوا السوق حتى وصلوا لدرب الريحان أو قريبا منه، . فوقف خطيبهم فوق دكة دكان فى عطفة السوق فمدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله.. فإنا لله وإنا إليه راجعون..» !!

ثم يقول ابن كثير: وكان في نيتهم لو طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد وغيرها..

ولما وقع هذا اجتمع قضاة المسلمين والفقهاء والشهود، فدخلوا القلعة يشكون هذه الحال إلى القائد «ابل سيان» فأهينوا وطردوا وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم..!!».

لقد عوملوا على المبدأ الاستعمارى المشهور: الويل للمغلوب.

وكما قلت: ليس عجيبا أن يفتك الوثنيون بالموحدين على أبشع الصور، وإنما العجب أن يسهم النصارى فى ذلك، أو يشمتوا ويفرحوا من بعيد!!

ولقد عاشوا اعصارا مع المسلمين آمنين فى ذمتهم ظافرين بلون من الحياة أهدأ وأنعم مما ظفر به البروتستانت فى جوار الكاثوليك.

أجل، أن نصارى الشرق فى جوار المسلمين كانوا أسعد حالا من إخوانهم فى أوروبا نفسها.

فلم كل هذا الغل والرضا بمصائب المسلمين؟

واليوم تعمل الحراب الإسرائيلية فى أحشاء العروبة والإسلام، فمن الذى يمسك بالحربة ويحركها؟ الاستعمار العالمى.

إننى أستعرض الآلام القديمة والجديدة ثم أذكر قول الشاعر:

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحة.. !!
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة !!

ومع كل ما حوى التاريخ من سخائم تحمر أو تصفر لها وجوه المعتدين فنحن مستعدون أن ننسى، وأن نفتح مع القوم صفحة جديدة لعلاقات يسودها العدل والبر..

فهل يفعلون ؟

أغلب الظن أن أضغان القوم علينا لن تبلى..

إننا نحن المسلمين محكومون فى نظرتنا إلى اليهود والنصارى بامرين يوجبان السماحة والاعتدال:

أولهما: أننا مصدقون بالرسالات الأولى ومكرمون لانبيائها.

والآخر: أننا نحترم الفكر الإنسانى، ونقيم الإيمان على حرية الإرادة ونعطى مخالفينا فى الرأى، الحقوق التى لنا، ولا نلزمهم إلا بالواجبات التى علينا..

وقد توارثت أجيال المسلمين هذه المعانى حتى أصبحت تقاليد مقررة فى مجتمعاتهم السابقة واللاحقة..

إلا أن أهل الكتاب، أو نفرا كبيرا منهم، يستكثر علينا حق الحياة، ولا يبادلنا المشاعر الحسنة التى نكنها لهم.

و مع أن هذه الحقيقة المريرة برزت بوجهها على امتداد العصور، فإن طيبة قلبنا تحملنا على النسيان والتغاضى..!

بيد أننا نأبى أن تتحول طيبتنا إلى غفلة، وسماحتنا إلى حماقة..

إن الاستعمار الحديث واضح الرغبة فى صرفنا عن ديننا، وتحقير إيماننا ظاهرا وباطنا.

وقد مزق الحجب عن قصده، وشرع - سياسيا وعسكريا - يكيد لنا ويجهز علينا..

وهو اليوم يقوم بجهد مزدوج.. انه يوسع حملات التبشير ويدعمها بكل أسباب النجاح.

ثم هو يحاول أن يستغل نصارى الشرق ليطعنوا المسلمين فى ظهورهم وليوهنوا صفوفهم وهم يردون العدوان عن أنفسهم وبلادهم..

ونحن نرمق هذه الجهود بعيون مفتوحة، وقلوب مجروحة.

إن الله لن يتخلى عنا، فنحن عباده الأوابون إليه، المستعينون به..

ونظن نصارى الشرق أعقل من أن يستجيبوا لتلك الدعوات الخائنة، إنهم لن يعاونوا الاستعمار فى الحرب التى تدور الآن بيننا وبينه.. إنهم لن يخذلوا الفدائيين الذين يقاومون الصهيونية..!! أنهم لن يفرطوا فى حق المواطنة، ولن ينسوا الجوار الشريف الذى جمعنا زمانا طويلا..

وأعلم أن البعض وقع في هذا الشرك، وشرع ينال منا..

لقد اطلعت على كتب شتى، تتناول ديننا، ونبينا، وتاريخنا بأساليب دنيئة ولكننا سنتغلب على هذه الجراح ونسير..

وإذا كنت أثبت هنا كلمات تنضح بالسموم ضدنا فلكى أقول للعقلاء: ان هذا لا يليق..!!

جاء فى كتاب «الخريدة [1] النفسية فى تاريخ الكنيسة» ما يأتى وصفا للإسلام ورسوله وتاريخه.

والكتاب مطبوع فى القاهرة عام ١٩٦٤ (بمطبعة قاصد خير) بالفجالة.

والسطور التى نقتطفها من الجزء الثانى ص ٩١، ٩٢، ٩٣..

قال المؤلف: «إن محمدا صاحب الشريعة الإسلامية، ومشترعها، ولد فى شبه جزيرة العرب بالحجاز، بمدينة مكة من قبيلة قريش سنة ٥٦٩.

وقد تيتم من والديه وهو فى سن الخامسة من عمره.. فرباه عمه أبو طالب، وعلمه التجارة والأسفار.. وأول أسفاره كان وهو فى سن الرابعة عشرة.. سافر مع نفر من قبيلته إلى الشام، ولما رجع أخذته أرملة غنية تدعى خديجة.. فصار يتجر لها ثم تزوج بها..

وكان ذكاؤه الطبيعى مفرطا، وأفكاره وقادة، وفى أثناء تردده إلى سوريا وفلسطين عاشر كثيرين من النصارى واليهود، وخالط عامتهم وخاصتهم، وسمع تعاليم كثيرة لهم، وبعضها من الكتاب المقدس، وبعضها خرافات كانت تلهج بها العامة، فكان يعلق ذلك فى ذاكرته ومذكراته(!!).

ولما بلغ سنه الأربعين سنة، كان حفظ شيئا كثيرا من تلك التعاليم الصحيحة والكاذبة ومزجها بتصوراته[2] (!!).

---

(١) نقلنا هذه النصوص عن النسخة المحفوظة بدار الكتب فى القاهرة رقم ٤٦٤٤ ولهذا الكتاب مكانة شبه رسمية برغم ما فيه من إسفاف!!

(٢) المستشرقون والمبشرون من أعداء محمد يرددون تهمة واحدة ليست جديدة، فقد سبقهم إليها الوثنيون من أربعة عشر قرنا، وذكر القرآن الكريم هذه التهمة فى غير موضع «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر..» «وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا».. «قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما» واتهام محمد بالتزوير، كاتهام «مريم بالزنا، كاتهام غيره من الأنبياء بالإدعاء كلام كشفنا عن تهافته فى كتبنا الأخرى، وابنا ما فيه من فراغ..

ولعدم وقوفه على مصادر التعاليم الصحيحة.. !! – وهو الكتاب المقدس – .. لما أراد أن يدونها.. زاد فيها ونقص.. وغير وبدل.. كما يعلم ذلك من قرأ حوادث الكتاب المقدس المسرودة فى القرآن.. (!!)

ومن ثم قصد أن يظهر بمظهر نبى أمام العرب.. (!!) لا سيما عرب قريش وكانوا عبدة أصنام، فاستعظموا تعاليمه، وجزعوا منه، واقترحوا عليه أن يؤيده بأعجوبة سماوية.. فعظم عليه الاقتراح، ولم يجد مناصا منه سوى الاعتذار التافة(!)، والاحتجاج الفارغ بعدم إيمان السالفين بالعجائب[1].. (!!) وان الله أرسله وزوده بالوحى فقط لإرشاد الناس وهدايتهم (سورة الأنعام آية ٣٧، والأعراف آية ٢٠٢، والرعد آية ٨، وبنى إسرائيل آية ٦٢، والعنكبوت آية ٤٩).

وكان يدعو الناس إلى التسليم بدعوته وقبولها فى أول أمره بالحسنى والرفق، واللين والرضا، ويتظاهر بعدم إكراه أحد وإلزامه قبول الإسلام.. وقد وردت بهذا الشأن نصوص كثيرة فى القرآن لا محل لإيرادها.. (راجع سورة البقرة آية ٢٥٧، وآل عمران آية ١٩، والأنعام آية ٦٦، ١٠٤، ١٠٧، ويونس آية ٦٩، ١٠٠، والأحزاب آية ٤٧، والنمل آية ١٢٦، وبنى إسرائيل آية ١٠٦، والزمر آية ٤٢).

ويظهر أنه كان مراعيا للظروف فقط (!!).. وخاصة ظروفه (!!).. فتظاهره بدعوته الناس إلى قبول تعاليمه غير مكرهين كان فى حال ضعفه..(!!).

فلما اشتد أزره انقلب[2] إلى العكس كما يعلم من نصوص أخرى عكس التى أشرنا إليها.. (راجع البقرة آية ١٨٨، والتوبة آية ٥ ، ٢٨، ٧١ ، ومحمد آية ٤ ، والنساء آية ٨٣، ٨٨).

---

(١) القرآن هو المعجزة الكبرى لمحمد، وقد وقعت له كما وقعت لغيره من الرسل خوارق كثيرة ولكن الإسلام – لعمومه وخلوده – يمنح الخوارق المادية مكانة ثانوية، ويجعل الإيمان منوطا بالعقل المفكر قبل أى شىء.

(٢) هذا إفك مبين، وقد فضحنا هذه الفرية فى الرد على « جولدزيهر » المستشرق المجرى اليهودى، والبحث موجود بكتابنا « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » وفيه كذلك رد على مفتريات هذا المؤرخ الكنسى وغيره من الباحثين عن العيوب ليرموا بها الإسلام.. وهيهات !!

وكذلك راعى فى أول الأمر خاطر اليهود ليكونوا أعوانا له، وجعل وجهة المصلين بيت المقدس، فلما قويت شوكته نقض هذا الأمر، وجعل وجهة المصلين الكعبة فى مكة، وهى معبد[1] أصنام قديم لعرب قريش، لا يزال فيه حجر أسود يدعى العرب أنه نزل من الجنة.

وطلب محمد من كبار قريش أن يزيلوا الأصنام من الكعبة فتوقفوا، والتمس منه نفر أن يكرم معبوداتهم لكيلا ينفر الناس من دعوته فأكرمها ومدحها..! بقوله.. «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلى.. وأن شفاعتهن لترتجى».

وقد ورد ذلك فى سورة النجم ولكن العبارة الأخيرة حذفها جامعو القرآن، لأنهم رأوا أنها محطة بمنزلة محمد.

ولكن المفسرين أثبتوها، وأثبتوا نسبتها لمحمد واعتذروا عنه.! وأشهرهم ابن عباس.

وقد أحس محمد بغلطته، وعدل عنها، فنقم عليه عبدة الأصنام وقصدوا إيذاءه، وضمروا الشر له، فلما انكشف له سوء مقصدهم، هجر مكة وهرب إلى المدينة.. (!!) وكان ذلك سنة ٦٢٢ .. ومن سنة هروبه(!!) يبدأ بتاريخ الإسلام، واستمر بعد ذلك احدى عشرة سنة[2] كان يشن فى أثنائها الغارات على القبائل، وبنهبهم(!!) ويسلب أمتعة القوافل(!!) وينكل بالمقاومين له حتى قوى أمره..» (!!).

---

(١) الكعبة هى المسجد الحرام الذى بناه أبو الأنبياء إبراهيم لعبادة الله وحده، وقد أقحم عليه الوثنيون أصنامهم حتى جاء محمد فهدمها صنما صنما وهو يقرأ قول الله: «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا». وحملة القرآن الكريم على الأصنام ليس لها نظير فى كتاب أرضى أو سماوى ونحن نتحدى فكيف يزعم هذا المؤلف الكذوب أن محمدا مدح الأصنام يوما ما.. ولكن ميدان الصدق إذا ضاق بالمفترين وجدوا فى ميدان الاختلاف ما يشبع أحقادهم..

(٢) بهذه الكلمات الهازلة يصف الكاتب أشرف جهاد قام به رسول! فأقر به التوحيد المضطهد، وثبت الحق المطارد، وقمع طواغيت الشرك وهى تحاول أن تطفىء نور الله، وظاهر أن الرجل يكذب ويرخى العنان لكراهية عمياء ضد الإسلام ونبيه، وما درى الأحمق أن الإسلام يوم يطوى فلن يقوم مكانه دين، ولن يغنى غناءه إيمان فى إقناع العقل وإراحة الضمير..

ذلك ما يكتب عنا فى بلادنا !! وهو واضح الدلالة فى إهانة مقدساتنا واستباحة حرماتنا، وأرخاص كل صلة، وكشف القناع عن شر مستطير.

وأحب أن أتجاوز هذا اللغو الهابط.. وغاية ما أنبه إليه المسلمين، ان الاستعمار طامع فى اجتياح دينهم طمعه فى اجتياح بلادهم، وسرقة خيراتهم..!

وأن الأمر يحتاج إلى يقظة مضاعفة..

وكلمة هامسة إلى مواطنينا من أهل الكتاب: أن يضربوا على أيدى سفهائهم، فلا يزيدوا الطين بلة..!! ولا يحملوا القلة المدللة على جحد النعمة ومعاونة الأعداء..

إننا نحن المسلمين نعامل مخالفينا فى الدين معاملة لا نظير لها نبلا وسماحة ولم يحدث أن ظفر بمثلها المختلفون من أهل الملل الأخرى حين عايش بعضهم بعضا أو عامله.

وقد كنت أريد أن أطوى هذه المثالب، وأتغاضى عن ذكرها، لولا ان جهات مسئولة هى التى أسهمت فى طبعه ونشره، وهكذا يقول مؤلفه فى نهاية الجزء الثانى صفحة ٥٩١ .

وعبارته بتمامها: «تم بعون الله طبع هذا الكتاب النفيس فى يوم ٣٠ من أبيب سنة ١٦٨٠ للشهداء، الموافق ٦ من أغسطس سنة ١٩٦٤ للميلاد فى عهد غبطة البابا المعظم الأنبا «كيرلس» السادس حفظه الله.

ولولا اهتمامه بنا، ومساعدته، وتشجيعنا ببركاته وصلواته المقبولة ما أمكننا أن نقوم بهذه المهمة، نسأل الله أن يحفظه لنا ذخرا، وللرهبنة والكنيسة فخرا»..

ونحن نأسف لهذا الخطأ فى جنبنا، بل لهذه الخطيئة، ونوصى إخواننا المسلمين أن ينسوها، ونوصى إخواننا المسيحيين ألا يكرروها !.

* * *

التبشير والاستعمار وآلام أخرى

يكاد المراقبون والنقاد يجمعون على أن الأوروبيين والأمريكيين ليسوا مولعين بالتدين، ولا ميالين إلى التقوى، وأن صلتهم بالله لا تتجاوز الشكل إلى الموضوع، وأن احتفاءهم بالمناسبات الدينية يقوم على تحويل أيام الآحاد ومختلف الأعياد إلى فرص للاستجمام وشباك للهو والمرح بريئا أو غير بريء.

والأوروبيون والأمريكيون – إجمالا – يجنون ثمرات تقدم علمي رائع رفه معايشهم، ونعم حضارتهم، وربما استطاع هذا التقدم أن يلطف مسالكهم ويهذب غرائزهم إلا أن مئات كبيرة في كلتا القارتين لم يرفع العلم الإنساني مستواها إلا في الكلمات والملابس ..!

أما ما وراء ذلك فهناك القتل، والخطف، والاغتصاب، والفوضى الجنسية، والكبرياء العنصرية، وعبادة الحياة الدنيا، والتجهم أو الإنكار لما وراءها ..

ومع هذا السلوك الهابط فإن الأوروبيين والأمريكيين يهتمون بالتبشير ويرصدون لرجاله وأغراضه أموالا طائلة، ويتابعون نشاطه ونتاجه بيقظة !

ومع أن الحكومات في كلتا القارتين لا تبالي أن يؤمن أبناؤها أو يلحدوا.. إلا أنها تولي الدين في أفريقيا وآسيا قدرا ملحوظا من رعايتها، وتتوسل به إلى تذليل الصعاب، وحطم الخصوم .

ولننظر إلى فلسطين في ظل «الانتداب البريطاني» لنرى آثار هذا الاتجاه في تحقيق الأغراض الاستعمارية بين سكان هذا القطر المحروب ..

كان تسعة أعشار الفلسطينيين مسلمين عربا فكيف يمكن تذويب عروبتهم وإسلامهم معا؟ وكيف يمكن خلق الظروف التي تتمخض عن قيام «إسرائيل» كما وعدت بذلك بريطانيا ..؟!

لن أتعرض هنا للأساليب الاقتصادية والعسكرية على شناعتها ووحشيتها، وإنما أتعرض للنواحي الدينية وحسب .

كان بفلسطين معهد لتخريج الدعاة المسلمين يسمى «الكلية الصلاحية» أمر الانتداب البريطاني بالإجهاز عليه عشية باشر الحكم في البلاد.

وقد نشرت إحدى الصحف تاريخا موجزا لهذه الكلية جاء به: « كلية صلاح الدين الأيوبى » .

« كانت تقوم فى الناحية الشمالية الشرقية على بعد عشرات الأمتار من الحرم الشريف فى المكان المعروف بدير القديسة حنا ويقال أن هذا المكان جعل مدرسة إسلامية قبل صلاح الدين الأيوبى .

ولكن اسمها قد التصق بصلاح الدين حينما جعل منها مدرسة للفقه الشافعى بطلب من فقهاء الشافعية ومر عليها زمن تقلبت فيه بين يد النصارى والمسلمين .

حتى كانت سنة ١٩١٤ م (١٣٣٣ هـ) . وقام على بلاد الشام القائد التركى « جمال باشا » حيث أعادها مدرسة دينية إسلامية لإعداد مبشرين للعالم الإسلامى وبالأخص للهند والصين . وسماها « كلية صلاح الدين الأيوبى » وعرفت بين الناس بالكلية الصلاحية كما درس بها علماء من مختلف البلاد في ذلك الوقت من أمثال : محمد اسعاف النشاشيبى ، وجودت الهاشمى ، وعبد القادر المغربى السورى الذى كان فيما بعد نائب رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، ثم عبد العزيز جاويش ، ورستم حيدر ، وجميل النيال ، وعبد الرحمن سلام . . إلخ . وكان شيخ الإسلام فى الآستانة يحول مرتبات هذه المدرسة من تركيا بوساطة متصرف القدس . وبدخول الجيش الانجليزى القدس فى ٨ / ١٢ / ١٩١٧م أعيدت هذه المدرسة إلى يد الآباء البيض الفرنسيين وهى اليوم مدرسة أكليريكية دينية للروم الكاثوليك » .

والواقع أن هذا التاريخ مدخول ، فالمدرسة كانت تقوم بتعليم الفقه الإسلامى ثم حولها الترك إلى كلية للدعاة تخدم الإسلام فى الداخل والخارج . . فلما ملك الانجليز الأمر حولوها إلى كلية لتخريج المبشرين المسيحيين ، وسلموها إلى جماعة البيض الفرنسية وهى جماعة لها دور هائل فى محاولة تنصير المغرب العربى أيام الاحتلال الفرنسى .

والتعبير بأنها « أعيدت » للفرنسيين يتمشى مع الفكر التبشيرى الذى يرى أن آسيا الوسطى ومصر والشمال الإفريقى كله كانت مستعمرات رومانية ،

ويجب أن تعود كما كانت وقد بذل الاحتلال البريطانى لمصر جهودا شاقة لإبعاد الأمة عن دينها، وعن المناسبات التاريخية التى تربطها به.

نشرت جريدة الأخبار تحت عنوان «احتج الانجليز على الاحتفال بعيد الهجرة فى إذاعة القاهرة منذ ٤٠ عاما» قالت: احتفل العالم الإسلامى أمس بعيد الهجرة، وهو بداية العام الجديد منذ أمر عمر بن الخطاب بجعل الهجرة أساس التقويم الإسلامى. وقد احتفت به الإذاعة المصريةلأول مرة سنة ١٩٣٤ ميلادية بقرار من «مدحت عاصم» أول مدير للإذاعة المصرية بعد أن أصبحت حكومية – وكانت من قبل تشرف عليها مؤسسات أهلية – وأمر المدير المصرى أن يبدأ الاحتفال بصلاة الفجر..!

وعد ذلك حدثا غريبا، وواجه المدير المصرى معارضة شديدة من الانجليز المشرفين على الإذاعة..!

وكانت الحجة المعلنة أن الاداريين والفنيين سوف يسهرون إلى الثانية صباحا، ورد عليهم السيد مدحت عاصم بأن هؤلاء يسهرون فى رأس السنة الميلادية حتى مطلع الفجر، وبعده إلى الصباح، وإذن فلابد – بالقياس – من الاحتفال بالسنة الهجرية وسكت المعترضون كارهين فإن الاحتفال بالسنة الميلادية لذيذ أما الاحتفال بذكرى الهجرة فشىء ممجوج أو لعله شىء رجعى..!!

المهم أن الإنجليز بعد أن ألغوا الكلية الصلاحية، واطمأنوا إلى أنه لن يكون للإسلام دعاة مرشدون فى فلسطين رأوا أن يستجلبوا إلى الأرض المستباحة مللا أخرى تثير الفوضى الدينية فيها، وتبلبل الأفكار، وتكثر الظروف المهيئة لقيام إسرائيل.. وهم من قبل شجعوا البهائية، واحتضوا طاغيتها الداهية عباس عبد البهاء، ورفعوا منزلته ماديا وأدبيا، فجعلوا «عكا» كعبة البهائيين المبثوثين فى بقاع شتى، وربطوهم بفلسطين روحيا ووثقوا الصلات بين المحافل البهائية ودعاة الصهيونية، حتى تخدم إحداهما الأخرى ويتظاهران جميعا على الإسلام.

بيد أن ذلك لا يكفى فلا بد من استقد ام القاديانية إلى فلسطين هى الأخرى كى تشارك فى صنع الشتات الإسلامى وتمهد للوجود اليهودى.

وغلام أحمد منذ نشأ فى الهند كان صوت سادته ومنفذ إرادتهم. وأذكر أنى لما زرت «أوغندا» منذ عامين وجدت مسجدا للقاديانية فى أعظم ميادين العاصمة..

وشاء الله أن ينقرض هؤلاء السماسرة من «أوغندا» بعد أن انقطع الاستعمار الانجليزى منها..

لكنهم فى فلسطين بقوا بعد أن تركت لليهود يبنون بها دولتهم التى رفع الانجليز قواعدها.. والمجلة التى نقلنا عنها خبر الكلية الصلاحية البائسة تذكر النشاط القاديانى داخل إسرائيل وكأنه ولد ونما بطريقة طبيعية، فهى تسوق القصة على هذا النحو:

«لقد كان الأستاذ المولوى جلال الدين شمس أول مبشر أوفد من قبل الخليفة الثانى للجماعة الأحمدية إلى بلدان الشرق الأوسط. وذلك فى أواخر العشرينات من هذا القرن. وكان قد مهد لهذه الحملة حضرة المولوى زين العابدين أستاذ تاريخ الأديان فى كلية صلاح الدين الأيوبى فى القدس. وقد بدأ عمله فى دمشق الشام إلى أن اضطر إلى الانتقال لمدينة حيفا بفلسطين بسبب المعارضة الشديدة التى لقيها من علماء المسلمين هناك وبناء على طلب من الحكومة الفرنسية آنذاك.

وفى حيفا أسس جماعة وبشر بدعوة المهدى زمنا ما حتى تسنى له الاتصال بأهل قرية الكبابير الواقعة على جبل الكرمل والمجاورة لحيفا فقبل معظم سكانها الأحمدية وأقام بها مركزا تبشيريا سنة ١٩٢٩ م وفى السنة التالية بنى المسجد الموجود حاليا ثم أضيفت إليه دار التبليغ، وأنشئت سنة ١٩٣٤ م المطبعة الأحمدية وبدأ المركز يصدر مجلة (البشرى) وهى المجلة الأحمدية الوحيدة فى بلاد الشرق الأوسط التى لا زالت تصدر بإسرائيل كما بوشر فى الحال بفتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنين والبنات وكذلك مدرسة ليلية لتعليم الكبار.

وقد تطورت المدرسة مع الزمن إلى أن أصبحت اليوم تضم ثمانية صفوف ابتدائية وروضة أطفال ولها بناية أنيقة وقاعة جميلة.

والمدرسة الأحمدية فى الكبابير هى أيضا المدرسة الإسلامية الوحيدة فى البلاد التى تدار بصورة مستقلة عن جهاز التعليم الحكومى.

لقد كان المركز في الكبابير حتى قيام دولة إسرائيل يشرف على الأعمال التبشيرية الأحمدية فى جميع بلدان الشرق الأوسط. وكانت الكبابير نقطة انتقال للمبشرين القاصدين من الشرق إلى الغرب أو العائدين من الغرب إلى الشرق.

لكن نشاطه انحصر بعد سنة ١٩٤٨ م فى إسرائيل وحدها..

وبعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧ م امتدت نشاط الجماعة الى الضفة الغربية والى قطاع غزة، وللأحمدية اليوم عدد غير قليل من الأتباع فى هذه المناطق.

ولابد من التنويه الى أن الجماعة الأحمدية فى اسرائيل تمارس نشاطها بحرية ولها مكانة محترمة لدى الأوساط الرسمية والشعبية فى هذا البلد.

ويشرف على المركز اليوم الأستاذ بشير الدين عبيد الله تساعده هيئة إدارية ينتخبها أفراد الجماعة المحلية. وكذلك جمعية خدام الأحمدية للشباب ولجنة إماء الله للنساء يقمن كل يوم بواجباتهن نحو الجماعة تحت رعاية المبشر.

وفى الكبابير اليوم نحو ثمانمائة أحمدى يكونون الغالبية الساحقة من سكان القرية.. والمعروف أن كلتا النحلتين المبتدعتين، البهائية والقاديانية، تخدم الاستعمار العالمى وتشد أزره فى ضرب الاسلام والعدوان على أمته، وهو لون آخر من التبشير يتفق فى الغاية ويختلف فى المنهج.

وليس كل مدد يصل الى المبشرين من الشعوب الأوروبية والأمريكية يتسم بالعدوان، ويتعمد مقدمه النيل منا والعدوان علينا.. ففى الدهماء عدد كبير من السذج والقاصرين يحسب أنه يرضى الله بما يبذل من مال.. وربما عذر حكومته وهى تباشر أحط وسائل الفتنة والسرقة للعقائد والمقدسات.

على أن الحكومات الاستعمارية عقدت صلحا دائما بين ضميرها وهواها، وأقنعت به نفسها ورعاياها، واستمرأت بمقتضاه تسخير الدين فى تحقيق ما تسعى وراءه من أطماع.

والتبشير يتطلب أمرين متكاملين:

أولهما: العنوان الذى يستر خبيئته ويجعل له - فى الظاهر - وظيفة أخرى ثقافيه أو اجتماعية أو طبية ... إلخ يمضى تحت شعارها إلى هدفه.

والثانى: وهو فى نظرنا شديد الخطورة - تكوين الظروف التى تشغل الشعوب بحوار مفتعل، أو قضايا وهمية، أو مسالك محيرة تتبدد فيها الطاقة، وتتشعب الآراء والأهواء.

إن هذه الظروف المصنوعة تشبه سحب الدخان التى تتحرك خلفها الحيوش الزاحفة، فلا يوضع أمامها عائق ولا يوقفها استعداد أو حذر.

وما أشك فى أن التبشير العالمى، جند أقلاما كثيرة فى الأمة العربية والأسلامية:

* تشن حربا من الصمت مثلا على كتب جيدة نافعة لتقدم أخرى ضارة تافهة.

* أو تطفئ شعلة من الحق فى مكانها قبلما تتحول الى سراج وهاج لو تركت للنمو الطبيعى.

* أو تخلق سرابا من المناهج تحدو إليه ألوف الشباب ليلهثوا فى طلبه ثم يعودوا بخفى حنين.

* أو تسوى بين اليقينيات والأوهام لتهدم مكانة الأولى وما ينبغى لها من قداسة أو تتدخل فى الجبهة المناوئة لها كى تساعد على جعل قيادتها معتلة هزيلة.

المهم إحداث شتات وبعثرة فى الوقت الذى يجد فيه رجال التبشير للقيام بدورهم كاملا والميدان خال من الحراس، أو الحراس مشغولون فيه بغيرهم.

وقد وصل الذين يعملون فى خدمة الأغراض التبشيرية الى أعداد رهيبة، وننقل هنا ما ذكرته مجلة دعوة الحق التى تصدرها وزارة الأوقاف المغربية فى عددها الأخير قالت:

نشرت دائرة معارف الكنيسة (أنسكلوبيديا) الأرقام التالية عن النشاط الكنسى:

١ - لدى الكنيسة الكاثوليكية ٢٥٠,٠٠٠ ألف متفرغ فى العالم

(مبشرين) بينما يبلغ مجموع العاملين لخدمة الكنيسة الكاثوليكية ١,٦٠٠,٠٠٠ مليون وستمائة ألف نسمة.

٢ – خلال ربع قرن من عام ١٩٢٥ الى ١٩٥٢ حول المبشرون ١٣,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثة عشر مليون شخص الى الكوثوليكية بمعدل نصف مليون سنويا.

٣ – لدى الكنيسة البروتستانتية ٤٣,٠٠٠ ثلاثة وأربعون ألف متفرع (مبشرين) يديرون ١٦٠٠ ألفا وستمائة مركز ومستشفى فى العالم لأغراض التبشير.

وقد زاد عدد البروتستانت فى ربع القرن من عام ١٩٢٥٥ الى ١٩٥٢ حوالى ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ ثلاثين مليونا والجدير بالغرابة أن هذا النشاط الباهر يتم فى صمت، وأن صحفنا البارعة الذكية متواصية على كتمانه، زاهدة فى الإشارة إليه.

وتلتحق بحرب التبشير حرب الاسكان والتهجير، وقد تمت – بتآمر عالمى – جريمة محو الوجود العربى فى فلسطين، وتسليم الأرض الى المستوطنين اليهود المجلوبين من أطراف الدنيا.

وقد ذكرنا فى بعض كتبنا:

كيف أخذت انجلترا جزيرة قبرص من تركيا، وكانت إسلامية خالصة طوال ثلاثة عشر قرنا فاستقدمت اليها المستوطنين اليونانيين حتى كادت تذهب بصبغتها الأولى.. وتقوم الآن حركة لضمها الى اليونان، التى لم تعرف هذه الجزيرة من بدء التاريخ..!!

وفى ظلام الغفلة والصمت تحاول عناصر معينة شراء أراضى ذات قيمة تاريخية أو عسكرية ثم يحشد أتباعها فيها ليظهروا بغتة بمطالب شاذة يحميها القانون..!!

ولا أدرى إلى متى يبقى العرب والمسلمون ذاهلين عن مصيرهم مع تلك المؤامرات المدروسة التى تفاجئهم بين حين وحين..

ولا أحسن غضاضة من التنبيه الى قضية تحديد النسل. أن أعداء الاسلام

يعرفون النتائج المادية والمعنوية التى تترتب على الكثرة العددية للأمة الاسلامية، ومن ثم يجتهدون فى إقناع المسلمين – وحدهم – بجدوى قلة النسل، وأقول مؤكدا – وحدهم – لأن رؤساء الأديان الأخرى أجمعوا أمرهم على تكثير نسلهم.

ومن المفيد أن أذكر أن المسلمين فى الأقطار الشيوعية بعد ذبول معروف الأسباب أخذوا يكثروا.

لعل هذه الكثرة مصداق المثل السائر «بقية السيف أنمى»..!!

وقد قرأت دراسة علمية دقيقة نشرتها مجلة (دعوة الحق) فى هذا الموضوع ختمته بهذه الحقائق «بعد انحسار دام نصف قرن على الأقل أخذ المسلمون يتزايدون، تزايدا طبيعيا كبيرا فى المناطق التى درسناها وبهذا زادت نسبتهم فى السنين الأخيرة فى البلاد الشيوعية الأربع (الاتحاد السوفييتى، يوغسلافيا، ألبانيا، بلغاريا)، التى سبقت دراستها.

* فمن بين كل ألف سوفييتى كان ١١٣ مسلما سنة ١٩٣٩ فصار ١٣٦ مسلما سنة ١٩٧١.

* ومن بين كل يوغسلافى كان ١١٢ مسلما سنة ١٩٣١ فصار ١٥١ مسلما سنة ١٩٧١.

* ومن بين كل ألف ألبانى كان ٦٨٦ مسلما سنة ١٩٣٠ فصار ٧٠٧ مسلما سنة ١٩٦٩.

* ومن بين كل ألف بلغارى كان ١٣٣ مسلما سنة ١٩٤٩ فصار ١٧٠ مسلما سنة ١٩٧١.

وهذا هو نفس الوضع فى معظم بلاد العالم حيث يتزايد المسلمون أكثر من غيرهم وهذا يكشف هدف الدعايات الخبيثة لتحديد النسل بين المسلمين.

فواجب كل مسلم من جهة الوقوف ضد هذه الدعايات ومن جهة أخرى العمل على تحسين وضع المسلمين المادى والمعنوى».

ونحن نضع بين أيدى قرائنا هذه المعلومات ليدركوا الكثير مما يغيب عمدا عن العيون.

* * *

عدوان الى آخر رمق

أشارت صحف القاهرة إلى مرحلة جديدة من مراحل العدوان على أرض العروبة والاسلام.

والمرحلة التى يتم إنفاذها فى صمت، والتى تعرض أنباؤها تحت عنوان خادع، تقوم على إسكان خمسين ألف يهودى فى بلاد الحبشة فى منطقة «غوندار» التى تقع على الحدود السودانية الحبشية!

وقد عرض حكام الحبشة خمسين ألف فدان يمكن استصلاحها لتكون نواة المهجر الجديد.

وربما سأل القارئ: لماذا يأخذ هولاء اليهود طريقهم الى إسرائيل بدل الحبشة؟

والجواب: أن هؤلاء اليهود من الدرجة الثانية، ويطلق عليهم «الفلاشا»، وفى نسبهم الى اليهودية غموض، وكانوا يعيشون فى الشرق الافريقى معيشة ظاهرة التخلف، ويرتزقون من بعض الحرف البدائية.

حتى نظم الغرب العلاقات بين الحبشة وإسرائيل من النواحى الروحية والاقتصادية والسياسية فأخذ وضع «الفلاشا» يتحسن، والتحق عدد منهم بوحدات الشرطة، وفرق الجيش الأثيوبى، وصعدوا فى مدارج الترقى حتى أصبح لهم عضو فى مجلس الوزراء!!

وقد تولت إسرائيل إنشاء مدارس فى منطقة «غوندار» يتربى فيها الفلاشيون على يد معلمين إسرائيليين. كما استقدمت بعثات منهم الى أرض إسرائيل (!) لتدريبهم التدريب الذى يحقق الأغراض المرجوة فى مستقبل ليس ببعيد!!

ولعل مما يحقق زيادة التقارب والالتحام بين إسرائيل وأثيوبيا أن توضع الخطط الصارمة كى ينكمش نشاط الكثرة الاسلامية التائهة فى الحبشة، فلا يسمع لها صوت، بل لا يحس لها وجود..!!

وذلك حتى تجد أمدادا لا مقطوعة ولا ممنوعة من الدعم الأثيوبى لاقتصادها، ومن ثم تستطيع أن تمزق العرب، وتضرى عليهم.

ويوم تلفظ العروبة أنفاسها فان شمس الاسلام ستجنح الى الغروب.

وهذا هو ما يستهدفه الاستعمار الناشط وراء سياسة «أثيوبيا» وقيام إسرائيل..!!

وخطة توطين بعض اليهود فى الحبشة التى شرحتها جريدة «جويش كرونيكل» اليهودية، والتى تعمل لها الوكالة اليهودية من بضع سنين ليست فى نظرنا أمرا ذا بال!!

وأحسبنى قريبا من الصدق إذا قلت: إن هذا أخف الطعنات التى وجهها الاستعمار إلينا. فان الدم الاسلامى النازف بغزارة فى الشرق الافريقى يكشف عن مأساة فاجعة تقع وراء أسوار من السكون المفتعل، وأخشى ألا نصحو حتى تكون الضحية قد طواها العدم.

والضحية هنا شعب مسلم كبير هو شعب «أرتيريا».

إن مسلمى ارتيريا يقاتلون قتال المستميت منذ ربع قرن ليظفروا بحريتهم الدينية واستقلالهم السياسى، ضد استعمار باطش، أعماه الحقد، وأغرته السلطة.

ومع فداحة الخسائر التى نزلت بهم فهم لم يضعوا السلاح ولم يستسلموا لليأس، وجبهة تحرير أرتيريا تعمل بايمان ومصابرة لاستبقاء الاسلام والعروبة على أرض الأجداد، وتقاوم سلطان أثيوبيا وهو يهجم بالسلاح الأمريكى لمحو هذا كله..!!

إن جبهة تحرير أرتيريا تقوم بالعمل التاريخى الضخم التى قامت به من قبل جبهة تحرير الجزائر، والذى تقوم به الآن جبهة تحرير فلسطين!

ويظهر أنها تلقى من أعداء الاسلام فى ميدانها الصعب مواجهة أعتى وعدوانا أعنف، لأنهم يخشون أن يكون مصيرهم مصير أغلب المستعمرين فى البلاد التى استردت حريتها.

إن هذا التوجس يجعل الجيش الأثيوبى غاشما فى سطوه، طاغيا فى عدوه!

وهاك نموذجا لما يقع هنالك من مصائب طامة ذكرها الصحافى السويدى «لارزبرو» رئيس تحرير مجلة «كانلوسبوستن» وزميله «برتل روبن» عضو البرلمان السويدى – وكانا فى زيارة خاصة لأرتيريا –:

«في يوم عاصف تدلت فيه اثنتان وعشرون جثة من جثث الثوار على أعواد المشانق في مدينة كرن، إحدى مدن أرتيريا الرئيسية.

وفي الوقت نفسه كانت تتدلى سبع عشرة جثة أخرى بمدينة قندع الواقعة بين أسمرة العاصمة، ومصوع الميناء».

يا حزناه على أمة الاسلام، ما أرخص دمها، وأهون أحرارها..! تسعة وثلاثون بطلا من رجالات الله يتأرجح جثثهم في مهاب الرياح دفعة واحدة على هذا النحو الرهيب!!

نكالا بأتباع محمد، وترويعا لطلاب الجهاد، وإذلالا لأحرار الناس.

معرض للردى تتمثل فيه كل ضغائن البشرية الخسيسة على الدين الذى رفع قدر الانسان.

وتبرز من خلاله الأحقاد التي ورثها المستعمرون الجدد عن الصليبيين الأقدمين.

تلك الأحقاد التي لا يخف مع الزمن سوادها، والتي تحيرنا نحن كيف نطفئها ونستريح من نارها ودخانها.

ان الكثرة المسلمة في أرتيريا كأختها المسحوقة داخل الحبشة تتعرض لحرب إبادة حقيقية.

وقد بدأت محنة هذا القطر التعيس منذ قضت هيئة الأمم المتحدة بضمه الى اثيوبيا رغم أنفه، ومع ان هذا الضم اخذ أول الأمر صورة اتحاد «فيدرالى» إلا أنه سرعان ما تحول الى إذابة للقطر المستضعف، وإفناء لشخصيته، ولغته، ودينه، وتاريخه، ومستقبله!!

وبديهي ان يقاوم مسلمو أرتيريا كما قاوم إخوانهم في الجزائر وفلسطين من قبل، وهنا جن جنون المعتدين وحاولوا بوحشية هائلة أن ينتهوا من الثورة الأبية فاجتاحوا عشرات القرى يحصدون من فيها وما فيها بالرصاص والقنابل.

غير أن الابطال المجهولين نظموا صفوفهم في جبهة تحرير شجاعة مثابرة، قاتلت الجيش الاثيوبى وأذلته في معارك شتى.

وفي العام الماضى قر القرويون الأرتيريون أمام حملة انتقام حبشية شديدة شنها عليهم الجيش الذى سلحه الامريكيون تسليحا جيدا، واجتاز هؤلاء البائسون حدود السودان في حال منكرة، فقد أحرقت قراهم ومزارعهم

ومواشيهم، وأستبيحت حرماتهم، وتعقبتهم الغارات الملحة تبغى القضاء عليهم، وتناثر موتاهم دون دفن لتأكلها الوحوش!!

وقال شاهد عيان يصف هؤلاء اللاجئين: لقد كانوا هياكل بشرية، وكان الجوع والعطش قد برحا بهم وهدا كيانهم.

على أن جبهة تحرير أرتيريا مضت على درب الجهاد الطويل الممض.

وقد عرفت رئيسها المؤمن المصابر الجلد الأستاذ ادريس آدم رئيس مجلس النواب السابق. كما قابلت الكثير من فتيان البلد الثائر على الضيم، وتفرست فى ملامحهم عزيمة الجهاد حتى لقاء الله.

إلا أن هناك حقيقة أحب أن أثبتها فى هذه الكلمة العجلى.

إن الأعداء القابعين وراء البحار يعملون على تهويد فلسطين هم هم الأعداء الذين يعملون على تنصير أرتيريا، وإن اختلفت أساليب الجريمة وأدوات التنفيذ.

والغرض الظاهر الباطن لدى هؤلاء إصابة الاسلام فى صميمه، وتمزيق أمته شذر مذر.

فما الذى يجعل العرب شديدى الجؤار لمحنة فلسطين، منكرى الصمت بإزاء مسلمى أرتيريا؟؟

إن الجامعة العربية لم تكترث عندما سلب هؤلاء المسلمون استقلالهم وسلموا الى الحبشة لتسترق أعناقهم، وكان فى مقدورها أن تقاوم وترفض.

لكن الجامعة العربية – ونقولها كاسفى البال – لا تهتم بأمر المسلمين ولا تشتغل بقضاياهم، وهى – إذ تستصرخ الضمير العالمى لأهل فلسطين – تفعل ذلك إعلانا لأخوة جنس وحسب!.

والجامعة العربية إذ تؤثر هذا المسلك تخون دينها وتاريخها وتنفصل عن الأمة العربية ذاتها فلا تترجم عن مشاعرهم ولا عن أمانيها.

بل أن الجامعة العربية تخون قوميتها المزعومة بتجاهلها قضية أرتيريا، فإن الشعب المسلم المضطهد هناك، يتكون من قبائل عربية الدم واللغة مثل الألوف المؤلفة من سكان وادى النيل.!

ولا ندرى كيف تناسى السياسيون الجبناء هذه الحقيقة عندما صمتوا صمت القبور على وأد إخوانهم العرب؟

والجامعة العربية إذ تتجهم للاسلام تغرق فى مسلك مدنى انتهى أمده وانكشفت حقيقته فان اليهود لا يستحون من الانتساب الى أبيهم اسرائيل إذا استحى العرب من الانتساب الى أبيهم محمد !!

والأمريكيون لا يستحون من عرض الإنجيل وتأييد بعثاته إذا استحى العرب من عرض القرآن وبلاغ رسالاته.

فإلى متى تنفض الجامعة العربية يديها من قضايا الشعوب الاسلامية المأكولة فى افريقيا وغيرها؟

بل إلى متى تعد قضية فلسطين عربية خالصة وهى اليوم نهب عدوان دينى سافر يؤازره حقد تاريخى قديم؟؟

إن العرب إذا خانوا الإسلام فلن يفيدوا من ارتدادهم إلا الضياع والمعرة وسيحيق بهم قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ [البقرة: ٨٦].

إن هذه الميوعة باسم السياسة انتهت بالقضاء على العروبة فى أرتيريا، فان السلطات الأثيوبية شنت حملات شعواء على اللغة العربية – وهى لغة البلاد الرسمية وفق المادة ٣٨ من دستور أرتيريا – وبدأت هذه الحملات بإهمال الطلبات والعرائض المكتوبة بهذه اللغة، ثم بإزالة اللافتات العربية.

واستطاعت أخيرا أن تمنع تدريسها فى شتى مراحل التعليم الرسمى منه والشعبى، عندما عزز الأثيوبيون سيطرتهم السياسية سنة ١٩٥٦.

وقد أحرقت الكتب العربية التى استوردها وزير المعارف الأرتيرى من القاهرة.

أما خريجو الجامعات العربية فيمنحون نصف مرتب خريجى الجامعات الأخرى حتى تموت رغبة الشباب فى كل دراسة عربية.

وفى سنة ١٩٦٣ منعت الحبشة تدريس الاسلام إلا باللغة الأمهرية لأنها تعلم انه لا يوجد كتاب واحد عن الإسلام بهذه اللغة.

وهكذا قضت الحبشة بجرة قلم على مستقبل دين وشعب، والعرب ينظرون واجمين.

ومعروف أن للأمريكيين قواعد كبيرة فى أرجاء البلاد، تحرس الاستعمار الدينى والسياسى فى هذه البقاع المنكوبة، وقد ذكرت جبهة الثوار انها فى بعض الاشتباكات مع الأحباش أسقطت طائرة هليوكوبتر أمريكية كانت تساعد المعتدين!

ونحن لا نستغرب هذا المسلك، وإنما نستغرب أن يتراخى عرب الشمال الأفريقى فى خدمة دينهم ومساعدة أخوتهم، فى الوقت الذى ألف فيه الاستعمار مجموعة من الحكومات الحاقدة تطارد الاسلام وتتعقب أنصاره!!

إن جبهة تحرير أرتيريا تلقى فنونا من الصد والتهرب من أناس يخونون قوميتهم وعقيدتهم على سواء. !!

* * *